

مختصر ابن كثير

30 - وإن يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويذكروا وآخرين .

قال ابن عباس ومجاحد وقتادة : { ليثبتوك } ليقيدوك وقال عطاء وابن زيد : ليحبسوك وقال السدي : الإثبات هو الحبس والوثاق وهذا يشمل ما قاله هؤلاء وهؤلاء وهو مجمع الأقوال وهو الغالب من صنيع من أراد غيره بسوء وقال عطاء : سمعت (عبيد بن عمر) يقول : لما ائتمروا بالنبي صلى الله عليه وسلم ليثبتوه أو يقتلوه أو يخرجوه قال له عمّه أبو طالب : هل تدري ما ائتمروا بك ؟ قال : " يريدون أن بسجوني أو يقتلوني أو يخرجوني " قال : من أخبرك بهذا ؟ قال : " ربى " قال : نعم الرب ربك استوص به خيرا قال : " أنا مستوصي به ؟ بل هو يستوصي بي " قال فنزلت : { وإن يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك } (قال ابن كثير : ذكر أبي طالب في هذا غريب جدا بل منكر لأن الآية مدنية واجتماع قريش وائتمارهم كان ليلة الهجرة وكان ذلك بعد موت أبي طالب بنحو ثلاثة سنين) الآية . والدليل على صحة ما قلنا ما روى محمد بن إسحاق صاحب المغازي عن مجاهد عن ابن عباس : أن نفرا من قريش من أشراف كل قبيلة اجتمعوا ليدخلوا دار الندوة فاعتراضهم إيليس في صورة شيخ جليل فلما رأوه قالوا له من أنت ؟ قال شيخ من أهل نجد سمعت أنكم اجتمعتم فأردت أن أحضركم ولن يعدمكم رأيي ونصحي قالوا : أجل ادخل فدخل معهم فقال : انظروا في شأن هذا الرجل وآليوشكن أن يواكبكم في أمركم بأمره فقال قائل منهم : احبسوه في وثاق ثم تربصوا به ريب المنون حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء زهير والنابغة قال : فصرخ العدو آلي قال : وآلي ما هذا برأي وآلي ليخرجنه ربه من محبسه إلى أصحابه فليوشكن أن يتبعوا عليه حتى يأخذوه من أيديكم فيمنعوه منكم بما آمن عليكم أن يخرجوك من بلادكم .

قالوا صدق الشيخ فانظروا في غير هذا قال قائل منهم : أخرجوه من بين أظهركم فتستريحوا منه فإنه إذا خرج لن يضركم ما صنع إذا غاب عنكم أذاه فقال الشيخ النجدي : وآلي ما لكم برأي ألم تروا حلاوة قوله وطلاقه لسانه وأخذ القلوب ما تسمع من حديثه ؟ وآلي لئن فعلتم ثم استعرض العرب ليجتمعون عليه ثم ليأتين إليكم حتى يخرجكم من بلادكم ويقتل أشرافكم قالوا صدق وآلي فانظروا رأيا غير هذا فقال أبو جهل لعنه آلي : وآلي لأشيرن عليكم برأي ما أراكم أبصراً ثم يموه بعد لا أرى غيره قالوا : وما هو ؟ قال : تأخذون من كل قبيلة غلاماً شاباً وسيطاً نهداً ثم يعطى كل غلام منهم سيفاً صارماً ثم يضربونه ضربة رجل واحد فإذا قتلوا تفرق دمه في القبائل كلها فما أظن هذا الحي منبني هاشم يقوون على حرب قريش كلها

فإنهم إذا رأوا ذلك قبلوا العقل (الدية) واسترحننا وقطعننا عن أذاه قال : فقال الشيخ النجدي : هذا وإن الرأي القول ما قال الفتى ولا أرى غيره قال : فتفرقوا على ذلك وهم مجمعون له فأتي جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فأمره أن لا يبيت في موضعه الذي كان يبيت فيه وأخبره بمكر القوم فلم يبت رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته تلك الليلة وأذن له عند ذلك بالخروج وأنزل الله عليه بعد قدومه المدينة الأنفال بذكر نعمه عليه وبلاءه عنه : { وإذا يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله خير الماكرين } وأنزل في قولهم تربصوا به ريب المنون : { أم يقولون شاعر نتربيص به ريب المنون } .

قال ابن إسحاق : أتاه جبريل عليه السلام فأمره أن لا يبيت في مكانه الذي كان يبيت فيه فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم (علي بن أبي طالب) فأمره أن يبيت على فراشه ويتسجي ببرد له أخضر ففعل ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على القوم وهم على بابه وخرج معه بحنة من تراب يجعل يذروها على رؤوسهم وأخذ الله بأبصارهم عننبيه صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ : { يسن القرآن الحكيم - إلى قوله - فأغشيناهم فهم لا يبصرون } . وقد روى ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه عن ابن عباس قال : دخلت فاطمة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تبكي .

قال : " ما يبكيك يا بنية ؟ " قالت : يا أنت وما لي لا أبكي وهؤلاء الملائكة من قريش في الحجر يتعاهدون باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى لو قد رأوك لقاموا إليك فيقتلونك وليس منهم إلا من قد عرف نصيبه من دمك فقال : " يا بنية ائتنني بوضوء " فتوهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج إلى المسجد فلما رأوه قالوا : ها هو ذا فطأطاوا رؤوسهم وسقطت رقا بهم بين أيديهم فلم يرفعوا أبصارهم فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة من تراب فحصبهم بها وقال : " شاهت الوجوه " مما أصاب رجلا منهم حماة من حصياته إلا قتل يوم بدر كافرا (قال الحاكم : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ولا أعرف له علة) .

وعن ابن عباس في قوله : { وإذا يمكر بك } الآية . قال : تشاورت قريش ليلة بمكة فقال بعضهم : إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق يريدون النبي صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم : بل اقتلوه وقال بعضهم : بل اخرجوه فأطلع اللهنبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فبات على بدر على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج النبي صلى الله عليه وسلم حتى لحق بالغار وبات المشركون يحرسون عليا يحسبونه النبي صلى الله عليه وسلم فلما أصبحوا ثاروا إليه فلما رأوا عليا رد الله تعالى مكرهم فقالوا : أين صاحبك هذا ؟ قال : لا أدرى فاقتصرت أثره فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم فصعدوا في الجبل فمروا بالغار فرأوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا : لو دخل هنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه فمكث فيه ثلاثة ليال (رواه الإمام

أحمد في المسند) . وقال عروة بن الزبير في قوله : { ويمكرون ويمكر أهله } أي فمكرت بهم
بكيدي المتيين حتى خلصتك منهم